دراسات في الآداب الأجنبية

# القضايا الراهنة للواقعية

بقلم فلاديمير بسكونوف

ترجمة : فاضل تامر

عقد في خريف العام المنصرم مؤتمر حول « القضايا الراهنة للواقعية الاشتراكية » ، نظمه معهد غوركي للادب العالمي بالتعاون مع اتحاد الكتاب السوفيات (١) .

لقد اثار هذا المؤتمر اهتماما واسعا في الاوساط الادبية . وحضره عدد من باحثي الادب في موسكو ولنينغراد ومن الجمهوريات الاتحادية الاخرى ، بالاضافة الى وفود من المانيا الديمقراطية وهنغاريا ويوغوسلافيا وبولونيا . وقد قريء في المؤتمر اثنا عشر بحثا كما شارك في المناقشة اكثر من ثلاثين متحدثا .

وقال البروفيسور الكسندر ميلسنكوف في بحث له حول « الواقعية الاشتراكية ومسألة النظرية » ان على الباحثين السوفيات ان يوسعوا بشكل كبير ميدان دراساتهم ، لكي يضعوا حلولا لاهم مشاكل الادب استنادا الى خبرة الفن السوفياتي خلال نصف قرن .

وقد عرض مسألة قوانين الفن مؤكدا ان الاستاتيك الماركسي يقر بوجود القوانين الموضوعية في الفن التي لا يمكن ان تماثل طبيعتها المميزة قوانين الحياة الاجتماعية الاخرى .

واستنادا الى مواد كثيرة مستقاة من تاريخ الادب العالمي ، والى التجربة الابداعية لبلزاك وستندال وغوته وشللر والواقعيين الروس ، قام ميلسنكوف بدراسة احدى القضايا الرئيسية في الدراسات الادبية، وهي انعكاس الحياة واعادة خلقها في الفنون . ان الواقع الاستاتيكي الذي تمخض من التقاء الموضوع بالذات ، هو عالم جديد خلقه الفنان ، عالم تتميز ملامحه بتنوع الدلالات ، شأنه في ذلك شأن العالم الواقعي. وبينما يقوم عارضو الاستاتيك البورجوازي بحل قضية العناصر الذاتية والموضوعية في الفن بالتشديد على اهمية العنصر الذاتي ، فان الباحثين السوفيات يجهدون لاختبار القضية ديالكتيكيا . وهم يرفضون الفكرة القائلة بان العمل الفني عبارة عن عالم مستقل « مستغلق الاسرار » . اذ لا يكفي لاي عمل فني ان يوجد دون ان يعني شيئا كما يرى النقاد الجدد. ان القوانين الداخلية للعمل الفني تعكس القوانين الموضوعية للعالم المحيط ولا تعارضها . ومن الواضح ان على الفنان ان يتعلم من الحياة ، ولكن من اجل ان يخلق عملا فنيا ، عليه ان يعرف كيف يخلق صورا ذات عدة ابعاد تقوم بأعادة خلق الواقع .

ان الطريقة الفنية (٢) هي ظاهرة معقدة جدا ، وكذلك هو امر تحديدها الذي يجب ان ينطلق من جوهر الفن ، كوسيلة لعكس الحياة واعادة خلقها . ان العناصر الرئيسية لطريقة ما لا يمكن أن تحصى بشكل ميكانيكي ، ولكن ينبغي ان تقيم كنظام .

ان الفن الصادق لا يقوم باستنساخ الحياة ، بل بأعادة خلقها ، وهو يدرس قوانينها مستخلصا افضل ملامح شخصية الانسان . وانطلاقا من هذا الموقف العام فقط بالامكان حل مثل هذه القضايا ، كالعلاقة بين الموضوعي والذاتي في الفن ، وفهم ما هو الواقع الاستاتيكي ، وكيف تتفاعل وتتعايش العناصر الاستاتيكية والعناصر غير الاستاتيكية ، وما هي العلاقة بين اشكال الفن واشكال الحياة ، وكيف تخلق صورة فنية معينة ، وما هو دور الكاتب في العمل الفني ، وكيف تتجلى ملامح طريقة فنية معينة .

وتلا نيقولاي جي ، وفلاديمير بسكونوف بحثا حول « الفاعلية الاستاتيكية للفن » وكان موجها ضد الاساليب التوضيحية والاستنساخ. لقد كان واضحا لدى تمالقة الواقعية الاشتراكية في عصرنا بأن مما لا يقبل الجدل هو ان على الفن ان لا يقوم بعكس التحولات التي تحدث في الواقع فقط ، بل يجب مساعدتها بشكل مقصود . وهكذا ، فمن اجل ان لا يقع في العرض التبسيطي للواقع ، فان حقيقة الحياة يجب ان تجهد من اجل فاعلية استاتيكية . واستنادا الى مواد عديدة مستقاة من الادب السوفياتي والاداب الاجنبية المعاصرة بين المتحدثان كيف ان الكتاب يناضلون من اجل فن فعال ومؤثر يهدف الى تثقيف الانسان الجديد .

هذا كما خصصت عدة ابحاث لدراسة العلاقة بين فن الواقعية الاشتراكية وطرق الإبداع الاخرى .

وفي بحث ميخائيل بارخومينكو حول « الواقعية الاشتراكية ، والواقعية الانتقادية في اداب شعوب الاتحاد السوفياتي » وبحث جورجي لوميدز حول « العلاقة بين الواقعية الاشتراكية ، والواقعية الانتقادية » عرضت وجهات نظر متعارضة على خط مستقيم . وقد اشار بارخومينكو الى انه يوجد بين اعمال الادب السوفياتي في العشرينات عددا من اعمال الواقعية الانتقادية ( مثل اقاصيص فيدن وليونوف وغيرهم ) توجد جنبا الى جنب مع الواقعية الاشتراكية ، ما دام الانتقال من تكوين اجتماعي الى تكوين اجتماعي اخر هو ظاهرة معقدة ترتبط بالنمو التدريجي للادراك الذاتي الاستاتيكي للناس . وقد حاول لوميدز ، على الضد من ذلك ، البرهنة على ان الكتاب السوفيات بعد ١٩١٧ ، حتى عند نقدهم للواقع فانما ينقدونه من وجهة نظر المثل الاشتراكية . وهكذا فهنالك كل المبررات لاعتبار اعمالهم تعود لضعف الواقعية الاشتراكية . واضافة لذلك فان لوميدز قد شدد على ان فكرة الواقعية الاشتراكية هي تاريخيا فكرة متبدلة ومتغيرة ، ولهذا يجب ان لا نتوقع أن يلائم مفهومنا الراهن عن الواقعية الاشتراكية تماما ادب العشرينات مثلا .

وفي بحث حول « الرومانسية والادب المعاصر » قدمه الكسندر افجارنكو ، قال فيه ان هنالك جناحا رومانسيا قويا في الادب السوفياتي يتمثل باغلبية كبيرة من الكتاب امثال : غرين ، بوستوفسكي، ووفجنكو ، يانوفسكي ، ستيلماخ ، وفركن . ان الرومانسية لا تحتل مكانا في المرحلة الاولى من تطور الادب السوفياتي فحسب ، بل ان اتجاهات رومانسية قوية لا تزال سائدة حتى اليوم في اعمال عدد من الكتاب السوفيات . وبعد ان حلل اعمال هؤلاء الكتاب توصل الى استنتاج يرى بأن الرومانسية يجب ان لا تشاهد كجزء ملازم للواقعية الاشتراكية ، ولكن كظاهرة استاتيكية مستقلة ايضا . وصاغ افجارنكو

---

(١) نشر هذا المقال في مجلة :
Soviet Literature, No. 7 , 1967, Moscow

(٢) المقصود هنا بمصطلح الطريقة الفنية Artistic method هي ما تسمى احيانا بالاتجاه او المدرسة « كالمدرسة الواقعية مثلا » وقد ورد هذا المصطلح النقدي في القاموس الفلسفي
Dictionary of Philosophy, Moscow, 1967
الجديد الذي صدر مؤخرا في موسكو . — المترجم —

استنتاجه الذي يرى انه « بالاضافة الى الرومانسية التي تشكل جزءا ملازما لطريقة الواقعية الاشتراكية ، فان الرومانسية توجد ايضا في الادب الحديث كطريقة مستقلة » .

وبينما تطرقت الابحاث السابقة لتناول بعض القضايا النظرية ، فان ابحاثا اخرى قد تناولت قضايا محددة تخص تطور الادب الحديث. ولكن يجب ملاحظة ان الابحاث النظرية كانت تستند الى مواد مستقاة من الظواهر الحية للادب الحديث . كما ان الابحاث التي تناولت الادب الحديث تضمنت ايضا استنتاجات نظرية هامة .

وفي بحث بعنوان « قضايا حول الموقف الابداعي للكاتب وبعض ملامح الادب الحديث » قدمه ليونيد نوفيجنكو ، العضو المراسل لاكاديمية العلوم الاوكرانية ، اشار فيه الى انه بعد المؤتمر العشرين دأب الادب السوفياتي على تقديم دراسة عميقة للحياة ، كما لفت الكاتب الانتباه الى اتجاهين نموذجيين للعملية الادبية المعاصرة .

اولهما : المسألة الفكرية التي تنشأ نتيجة لتطلعات وملاحظات مستقلة ، تثيرها الاهتمامات الانسانية والتمدنية الشديدة للكتاب . ان الانشغال بهذه القضايا يتعلق بالفاعلية الداخلية للشخصيات الادبية القائمة نفسها ، التي تبحث بالحاح عن حلول للقضايا المعقدة التي تطرحها الحياة .

اما المسألة الاخرى التي تستحق الاهتمام فهي وضوح تغير موقف الكاتب في عصرنا وهي تعبير الفنان المبدع من اجل تصوير صادق عملي للواقع .

ومن الطبيعي فالمسألة لا تتعلق فقط بتناول الادب لتلك الاوجه من الحياة التي كانت خارج متناوله في الازمنة السابقة . فالادب «يتغلغل» في الواقع : الماضي والحاضر منه عى طول الجبهة ، وهو يدرس حقيقته المعقدة ، ويحس احساسا عميقا بالمسؤولية الفنية تجاه المجرى الموضوعي للحياة .

وتوصل المتحدث الى استنتاج يرى ان التحليل الرصين للواقع والتوكيد الشعري للحياة ، والتمجيد العظيم للقيم الاجتماعية والاخلاقية ، كانت كلها من تقاليد الواقعية الروسية العظيمة ، واقعية بوشكين ، وليرمنتوف ، وغوغول ، وتورجنيف ، وتولستوي ، وتشيكوف، وهي ايضا من تقاليد الكتاب البارزين للاداب القومية الاخرى في الاتحاد السوفياتي . وفي ادب الواقعية الاشتراكية فان هذه الوحدة بين التحليل والتوكيد الشعري للمثل قد ارتفعت الى مستوى اعلى ، الى درجة جديدة نوعيا ، ما دام هذا الادب ، في التحليل العميق ، ادب كفاح وخلق ، ادبا يساعد بشكل فعال وواع لجعل المثل المكنوزة للانسانية واقعا حيا .

وفي بحث «حول الاتجاهات الاسلوبية في النثر الروسي الحديث» قدمه ياكوف السبرغ قال انه بينما كان يوري كازكوف وفاسيلي اكسينوف يخطوان الخطوات الاولى في كتابة القصة الحديثة ، فقد برز الان كتاب شباب جدد امثال : بيلوف ، بيتوف ، شوكشن ، شم ، تكاجنكو ، موجاييف وغيرهم . ولقد قدم هؤلاء الكتاب مواد جديدة في الادب مستقاة من الواقع ، وبرزوا كفنانين مبدعين ، يتميزون باساليب فردية مؤثرة بشكل عميق . ولفت الباحث الانتباه ، اثناء تحليله لاعمال كتاب النثر السوفياتي الشباب الى حقيقة ان الشيء الرئيسي بالنسبة لهؤلاء الكتاب هو العمل على اعادة خلق « مجرى الحياة العظيم » . وعند الحديث عن الحلول الاسلوبية المميزة لهذه المهمة ، اعتبر ان الاساليب لم تتطور بعد لدرجة تجعلها قادرة على تنظيم وخلق مادة اصيلة وحية تعكس ملامح الحياة الروحية للناس ، وتعبر بنفس الوقت ، وبشكل فعال ، عن الخصائص الفردية المتميزة لكتابها .

وقال فكتور بيرتسوف في بحثه حول « الشعراء المعاصرون ، والاحساس بالتاريخ » ان الاحساس بالتاريخ كان دائما من تقاليد الادب الكلاسيكي الروسي التي ورثها عنه الادب السوفياتي . ومن هذه الزاوية اختبر المتحدث الظاهرة المتنوعة للشعر السوفياتي المعاصر وخصوصا اعمال يفجيني افتشنكو .

وقد لاحظ الكاتب ان الاحساس بالتاريخ لا يقترن بالشعر الجماهيري العام فقط ، بل ان الشعر الوجداني ذاته لا يستطيع ان يتطور بمعزل عن ذلك . وبهذا الصدد قام بيرتسوف بتقديم تحليل عميق لاعمال ياروسلاف سميلياكوف ، ملاحظا ان القدرة العظيمة للشاعر تكمن في قدرته على ربط ميدان المشاعر الوجدانية بميدان التاريخ . واشار بشكل خاص الى قصيده سميلياكوف حول « انا اخمتوفا » حيث اعاد الشاعر خلق الصور المعقدة المتناقضة للشاعرة البارزة .

وواصل بيرتسوف كلامه قائلا « ان الشاعر المعاصر ، مهما يكتب، يجد نفسه على صلة وثيقة بالتاريخ . ولقد حان الوقت امام التاريخ ، الذي خلق مجتمعا جديدا في ثلث الارض ، ان يتغلغل بثبات في قلب الشاعر وان يجد له موطنا هناك » .

وفي بحث « من الفولكلور الى الرواية » درس كورنيلي زيلنسكي اعمال مجموعة من ممثلي الاداب الفتية التي قدمة اعمالا ملحمية قيمة معروفة جيدا لدى شعوب الاتحاد السوفياتي . وبتحليل روايات رتخيو وخوجار واخرين ، اظهر زيلنسكي اي طريق تاريخي عظيم في التطور قد تحقق في السيطرة الاستاتيكية على الواقع في فترة زمنية وجيزة نسبيا ، من قبل الامم الصغيرة في الاتحاد السوفياتي كما لفت الكاتب الانتباه الى ان التطور اللاحق قد اصبح ممكنا بفضل الانطلاق الثقافي الهائل الذي تحقق في بلادنا . واشار زيلنسكي بشكل خاص لاعمال اتماتوف كمثال على ذلك . والفضل في ذلك يعود الى هضمه لتجربة الادب العالمي ، اذ نجح اتماتوف ، دون ان يفقد اصالته القومية ككاتب قرغيزي ، في الارتفاع الى مستوى عال من الفكر الفني .

وفي بحث تامارا بالاشوفا حول « طرق البحث عن الواقعية الاشتراكية في البلدان الرأسمالية » اشارت الى ان هذه القضية لم تكن ملتهبة في يوم من الايام كما هي عليه الان . واذا اراد شخص ما ان يعبر عن انطباعه عن عدد من الاعمال المعاصرة بكلمة واحدة فان هذه الكلمة هي كونها « مفاجئة » . فمثلا كان ظهور رواية « الاسبوع المقدس » لالويس اراغون حدثا مفاجئا . وكذلك كان مفاجئا ظهور « الصياد » لالدرج ، واعمال جورج آمادو : « البحارة الشيوخ » و « جبريلا » . وبعد ظهور الاصوات المعقدة لبابلو نيرودا في « اغنية عالمية » جاءت « اغنية الى اشياء بسيطة » طبيعية تماما . ان كل هذه الاعمال لدليل على وجود تجديد واع ومنظم للاسلوب الشعري يجهد لاستكشاف طرق الاخرين في كشف الخصائص الجديدة للشخصية القومية والانسانية . ان الكتاب يعيرون اهتماما جديا لقضية مسؤولية كل فرد عن الظرف السائد في بلاده وفي العالم ، ولقضية الثقة بالانسان .

ان المهمة التي تحققها الان روايات اراغون وامادو ولاكسنس ، ومالتز وستل هي تحليل العملية الداخلية لادراك فرد يفكر بمصائر العالم ، وهي تحليل لجوهر الانسان ، ولعلاقاته المتبادلة مع «الاخرين». ان الفن يحاول ان يكشف المعنى الخفي لاكثر المسائل الاجتماعية تعقيدا . وهذا هو سبب انجذاب الفن الاشتراكي الملحوظ اليوم نحو الاشكال الجديدة للرواية الفلسفية والسيكولوجية او للقصيدة الفلسفية . وهو يبحث عن طرق متنوعة نحو ذلك الطراز من الرواية والقصيدة والمسرحية تكون بمقدورها التعبير عن جو العالم المعاصر ، وعن استعداد الانسان للاجابة بنفسه على القضايا الصعبة التي تجابهه، دون ان ينتظر مساعدة « الجبار » وذلك ليقوم « بتفسير العالم ، واعادة بنائه » ـ ( بول ايلوار ) .

ان المهمة الاساسية للفن الاصيل تكمن في انه يحفز في القراء الرغبة في التفكير والتعميم والتحليل واتخاذ موقف محدد . وهي ليست فقط قضية قيمة العمل الاستاتيكية التي بدونها لا يمكن ان يكون

هنالك فن ، ولكن ايضا تتعلق بالتزام الكاتب بالتغلغل الى جوهر القضايا الاجتماعية وتبيان علاقتها بالقضايا الاخلاقية المعقدة . ان هذا الاتجاه هو الذي يميز المرحلة الراهنة من تطور الادب المتقدم في البلدان الرأسمالية .

وفي الفن المعاصر ، فان الميل لتقديم تفسير فلسفي لاهم القضايا في العصر ، وللاسس الاولية « الطبيعية » للشخصية الانسانية، يسير جنبا الى جنب مع الاهتمام بالصراعات السيكولوجية المعقدة . ان الشكل الفني للرواية السكولوجية يتطور في خط متواز مع شكل الرواية الفلسفية ، واحيانا بتداخل وثيق معه . وقد عزز المتحدث رأيه بتحليل رواية اراغون « الاسبوع المقدس » و « الروح » لالزا تريوليه و « لحن البيرنيه » لبير غامارا .

ترى كيف سيكون ادب الغد ؟ يفهم الكتاب والنقاد الواقع في البلدان المختلفة باشكال متباينة . فاراغون ، وستل ، ولانوكس يهتمون باكتشاف ما هو متناقض ومعقد ، بينما يرى لانكس على الضد من ذلك، يحتج على التطور المسرف للعناصر السيكولوجية في الادب الحديث . ولندسي يربط التجديد في الفن بنهضة الفولكلور . ان الجد قد يطول ، ولكن تظل مع ذلك ثمة مسألة لا يمكن الجدال حولها هي ان هذا التجديد يجب أن يمس كلا من المحتوى الفلسفي للعمل واسلوبه الفني . وكما يقول لانكس « ان من العبث ان نتناول تجاربه مع شكل ما اذا لم يكن هذا الشكل تعبيرا عن شيء انساني ، محوري ، حي وخلاق » .

وفي بحث حول « تطور الواقعية في اداب البلدان الاشتراكية » مقدم من قبل انا بيرنستين ونيقولاي بالاشوف ، اشارا فيه الى ان الفنون المعاصرة لبلدان الديمقراطيات الشعبية تدخل الان مرحلة النضج . وبتأثير الظروف الجديدة فقد اغتنت الاتجاهات الاسلوبية بشكل ملحوظ ، كما تحقق غنى هائل في الاشكال وفي الطرق الفردية. وتزداد في نفس الوقت عملية التطور ، تعقيدا بعدة اعتبارات . كما ان هنالك وضوحا غير كاف في فهم معنى الواقعية « فهنالك اتجاه لتقليص حدود الواقعية ضمن حدود الاشكال التي وجدت في القرن التاسع عشر ، دون ملاحظة التحولات التي طرأت عليها في القرن العشرين . وبهذه الطريقة تبدو الواقعية كشيء متخلف لا يواكب العصر ، وغير قادرة على عكس الواقع المعقد الحديث . الا ان هذه الاراء تعكس فهما لا تاريخيا لمظاهر واقعية القرن التاسع عشر .

وفي عين الوقت ، فان اهم الاتجاهات في البلدان الاشتراكية تمكن المرء من الحديث ليس عن التقدم المطرد للواقعية الاشتراكية فقط ولكن حتى عن مرحلة جديدة من تطور هذه الطريقة . واكثر من ذلك فان العديد من الملامح الجديدة لادب البلدان الاشتراكية تجعله على صلة وثيقة بالادب السوفياتي المعاصر . واعتبر برنستين وبالاشوف ان التعبير الفني عن العالم هو من الملامح الرئيسية في الادب الحديث في البلدان الاشتراكية . ومن العلائم المهمة للمرحلة الجديدة هو الفهم العميق لاهمية وتطور الفرد ، وبشكل لا ينفصل عن ذلك ، ادراك مسؤولية هذا الفرد . كما أن هنالك اهتماما متزايدا بسيكولوجية الفرد وقضية الاخلاق . وهنالك ايضا تصاعد في العناصر الفكرية في ادب الواقعية الاشتراكية الحديث .

وقد عزز المتحدثان رأيهما بتحليل اعمال كتاب متنوعين امثال : كروزجوفسكي ، مورزك ، كارفاس ، ولوفنسكو .

وتوصل بيرنستين وبالاشوف الى استنتاج يرتكز الى اسس متينة يرى ان طريقة الواقعية الاشتراكية ، تستمر في التطور بنجاح في البلدان الاشتراكية . والمسألة التي تطرح حاليا هي مسألة الملامح العامة والتجربة الفنية الجماعية للادب في هذه البلدان . واشار الى ان اغناء الاشكال والاتجاهات والاساليب في ادب البلدان الاشتراكية، لا يمثل انفصاما عن الواقعية ، ولكنه دليل على القدرات التي تمتلكها في تطورها . » ولقد اثارت كل هذه البحوث مناقشة حية .

فلقد طرح البروفيسور جينادي بوسبيلوف رأيا اشار فيه الى ان طريقة ما ، هي مبدأ في عكس الحياةوليست وجهةنظر ايديولوجية. وان على المرء أن يميز بين الادب الاشتراكي وبين الواقعية الاشتراكية التي هي طريقة سائدة خلاله لعكس الحياة . وواصل المتحدث كلامه مبينا ان الادب الاشتراكي ، هو بحد ذاته ، ادب متنوع . ففي الوقت الذي يوجد فيه كتاب قادرون على استخلاص تعميمات اجتماعية عظيمة ، فهنالك ايضا كتاب لا يقومون الا بعرض بعض القضايا الاخلاقية « كتاب وثائقيون عن الحياة اليومية للمجتمع السوفياتي ». واعتبر الكاتب ان من بين هؤلاء الكتاب فيتالي سيومن مؤلف قصة « سبعة في بيت واحد » . وبالامكان اعتباره « كاتبا واقعيا انتقاديا ايجابيا في مجتمع اشتراكي » . وفي المراحل المختلفة من تاريخ الادب السوفياتي كان هنالك كتاب اخرون ايضا يمكن من الاصوب ، اعتبارهم « كتابا واقعيين انتقاديين ايجابيين » . واذا اقر مثل هذا الفني في التدرج في الدراسات الادبية ، فلن تكون هنالك حاجة ، حسب رأي بوسبيلوف ، « لاقصاء » اي كاتب من الواقعية الاشتراكية ، وسيجد كل كاتب مكانا ملائما له .

وقام افجيني تاغر بمحاولة تحليل مفهوم « الطريقة الفنية » . وهو يرى ان كل طريقة فنية تستخدم لغتها الخاصة ، ونتيجة لذلك فعلى المرء الا يوسع مفهوم الطريقة الفنية التي هي رؤيا فنية ، وادراك فني للحياة . انها يجب الا تثقل بمشاكل الفلسفة . ان لغة الواقعية ، هي موضوعيا ، لغة وصفية ، ولغة الرومانسية هي لغة السحر الشعري ، بينما نجد ان لغة الاتجاهات الحديثة « المودرنزم » هي لغة تعبيرية ، ترابطية . انها تفترض تفهم الكاتب للاواصر العميقة التي تشد الظواهر بالواقع . ويكفي هنا ان نقارن مسرحية غوركي الواقعية « ايغور بوليتشوف » بمسرحية فيشنسكي الرومانسية « التراجيديا المتفائلة » وبمسرحية بريخت التعبيرية « رجل سيزوان الطيب » لنفهم التباين المباشر بين كل هذه الاعمال . واشار تاغر الى ان دراسة كهذه ستمدنا ببعض الاستنتاجات النظرية الهامة .

ودعا الكاتب الى التغلب على النزوع نحو اتجاهين عميقي الجذور، الاول منهما هو ان الواقعية ، كشكل من اشكال الفن ، هي ضمانة ميكانيكية للحقيقة ، والاخر هو اعتبار ان فن ادباء الطليعة Avant-garde Art ينبغي ان يرتبط بالضرورة بوجهة نظر رجعية عن الواقع .

ويطرح تاغر السؤال التالي : « اين يكمن الاحساس بالتنوع الهائل لاوجه الفن الاشتراكي ؟ » ويجيب نفسه على هذا التساؤل بقوله « ان ديالكتيك الحياة المعقد يمكن ادراكه في الصراع بين مختلف الاتجاهات والتيارات الفنية » .

وقد ثار جدل حام حول الاراء الاخيرة . فلقد تبنى الاكاديمي ميخائيل خرابجنكو وجهة نظر ترى ان اي طريقة ، كفانون للتطور الادبي ، لا يمكن ان تتحدد في حدود معناها الاسلوبي الحرفي ، ومن الضروري ان ترتبط بمسألة الشخصية وبفهم الترابط بين الانسان


**مكتبة روكسي**

**اطلبوا منها الاداب كل اول شهر**

**مع منشورات دار الاداب**

**اول طريق الشام**

**صاحبها : حسن شعيب**

والعالم ، وبالقوى المحركة للتاريخ . وقد شدد على هذا الاتقان الذي يقرر الواقعية الاشتراكية . وقال ان هذا الانعكاس للواقع لا يقر التأملية والطبيعية والتوضيحية . وبمثل هذا التناول ، فان التصوير الصادق للحياة يصبح مبدأ ايديولوجيا في تفسير ما هو مرسوم . الا ان الواقعية الاشتراكية ، بفضل نشاطها الاستاتيكي ، تتطلب وجهة نظر متفتحة عن الاشياء ، ومفهوما فنيا جديدا واصيلا في تفسير الحياة .

ان وجهات النظر التي قدمها بوسبيلوف وتاغر قد اثارت تشويشا في مفهوم الواقعية الاشتراكية ، ولذا فقد قوبلت بالرفض الشديد من قبل الكسندر دايمشتز ، ليو ياكيمنكو ، والكسندر ميجنكو واخرين . واشاروا الى ان المرء يستطيع أن يتحدث عن طريقة ابداعية ما وثرائها المستمر . ولكن لا يمكن الحديث عن تدرج تأملي يقود بالتالي الى تضييق ميدان تأثير الواقعية الاشتراكية .

واحتلت مسألة العلاقة بين الواقعية الاشتراكية وطرق الابداع الاخرى حيزا كبيرا في اعمال المؤتمر .

واستنادا الى تجربة الادب الاوكراني السوفياتي ، ايد البروفيسور ستيبان كريجانوفسكي الرأي الذي عبر عنه افجارنكو في بحثه من ان فن الرومانسية الاشتراكية يوجد ويتطور جنبا الى جنب مع الواقعية الاشتراكية . وطورت هذه الفكرة بمساهمة ديمتري ماركوف ، العضو المراسل في اكاديمية العلوم ، اعتمادا على مواد مستقاة من بلدان الديمقراطيات الشعبية السلافية .

الا ان وجهة النظر القائلة بالوجود المتوازي للواقعية الاشتراكية والرومانسية الاشتراكية لم يلاق قبولا اجماعيا . واشار بوريس بيالك الى ان الواقعية الاشتراكية ليست مجموع خصائص اسلوبية ، ولكنها عملية حية ، متباينة ، تحتضن كل الواقع ، وبكل تكامله . ولهذا السبب فليست هنالك حاجة لان نلحق بها طرقا ابداعية اخرى . ان اعتبار الواقعية الاشتراكية ، والرومانسية الاشتراكية كطرق ابداعية توجد بشكل متواز ، انما هو بعث للاعتقاد السائد في الثلاثينات . وواصل بيالك حديثه قائلا « ان افجارنكو قد اعتبر في بحثه كلا من دوفجنكو ، وسفيتلوف ، وغرين كتابا رومانسيين ، ولكن كل هؤلاء الفنانين ذوي مواقف فكرية متباينة عن العالم ويختلف كل منهم عن الاخر بصورة مطلقة » .

وعارض مارك بولياكوف البحث الذي قدمه افجارنكو ، وخاصة محاولة تقليص طريقة ما الى مجموع خصائصها الاسلوبية ، مشددا على ان الواقعية الاشتراكية تتميز بأسس جديدة في العلاقة بين المثال والواقع . ان هذا المبدأ واسع وشامل جدا لدرجة أنه يعطي للفن الحق في الحديث بلغة الواقع ، وبلغة الرومانس في آن واحد ، ويظل مع ذلك يمثل فن الواقعية الاشتراكية .

وتحدث بوريس بورسوف العضو المراسل في اكاديمية العلوم عن العلاقة بين الواقعية الاشتراكية والواقعية الانتقادية . واستخلص رأيا ، يرى ان الادب الروسي الكلاسيكي ، هو ادب ذو مثل انسانية عظيمة ونطلعات اخلاقية حساسة لم تفقد اهميتها البالغة حتى يومنا هذا . ومن وجهة النظر هذه يجب الحكم على معاصرة الكلاسيكيات ، وعلى العلاقة بين الواقعية الكلاسيكية ، والواقعية الاشتراكية .

واعطى فلاديمير لاكشن جل اهتمامه الى مناقشة ما يسمى بصدق العصر ، وصدق الحقيقة . وفي رأيه أن وحدة العالم الواقعي تفترض وحدة الصدق التي يدونها الادب ولا تعطي مجالا لفصل صدق الحقيقة عن صدق العصر .

وجوابا على ذلك فقد اشار ميخائيل خرابجنكو ، ان الاستاتيك لا يمتلك الحق في ان يحدد نفسه في مهمة تأكيد وحدة صدق الحياة ما دام صدق الحياة يجد انعكاسه في الفن في الصدق الفني .

واذا لم يعر المرء انتباها الى ديالكتيك صدق الحياة ، والصدق الفني ، فان الادب سوف يهبط لا محالة الى مستوى الطبيعية .

كما لم يتفق البروفيسور ميجنكو ايضا مع لاكشن وقال ان لاكشن قد فلص كل المسألة الى الحالة الخصوصية ، الى المثال المفرد ، مستندا في ذلك على فكرة عبر عنها لينين في رسالته الى انيسا ارماند . ولكن من اجل فهم العمق الكامل لفكرة لينين تلك لا بد من دراستها خلال نصها المعين . وسوف ندرك حينذاك ، ان الحقيقة ليست بحد ذاتها مهمة ، ولكن ايضا الطريقة التي تعرض بها هذه الحقيقة على الاخرين . واذا لم نفعل ذلك ، فان ذلك سيؤدي الى تناقض في الافكار . ان الفنان محكوم عليه بتناول الحقائق الخاصة ، وان يفقد المنظور الكلي العام .

وعاد ميتجنكو الى معالجة نظرية الادب وتفسيرها من وجهة النظر الدقيقة المتمثلة في المعالجة التأريخية والديالكتيكية . وهكذا فان بعض دارسي الادب قد اسفطوا من حسابهم ، مثلا ، الثلاثينات والاربعينات من تأريخ الادب السوفياتي . الا ان هذا لم يكن شيئا تأريخيا . ان وضع الفن المعاصر ، الى جنب فن الثلاثينات والاربعينات يدفعنا الى ادراك ان الادب يمر حاليا في مرحلة جديدة . فهو يواجه بعض المتطلبات الخاصة التي لم تكن تواجه فناني الفترات السابقة ، ولهذا فليس من الصحيح خلط حقيقة تاريخية باخرى .

كما احتلت قضية العناصر القومية والعالمية في الادب حيزا كبيرا في مناقشات الواقعية الاشتراكية .

وقد تحدث عن هذه القضايا كتاب امثال : ميخائيل خرابجنكو ، بيوتر باليفسكي والكاتب الهنغاري لاسزلو ألز ، والكاتب اليوغوسلافي فلاكر . وقد اعتبرت دراسة الخصائص القومية المميزة والملامح الفنية الفريدة لتطور الاداب المختلفة ، اعتبرت بحق القضية رقم ـ ١ ـ . ان دراسة كهذه سوف تغني وتحدد بشكل اكثر دقة مفهومنا عن الواقعية الاشتراكية .

بغداد — ترجمة : فاضل ثامر


صدر حديثا :

# الاشتراكية العربية

## بين النظرية والتطبيق

بقلم

عبد الهادي الفكيكي

دراسة جدية مدعومة بالوثائق والارقام عن منجزات الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والجمهورية الجزائرية

منشورات دار الاداب — الثمن ٣٠٠ ق. ل